يمكن أن تلعبه العبادات فى عملية تنظيم وقت الإنسان وترتيب خط سير أعماله، ونتيجة للمعالجة الإسلامية المختلفة والمتميزة لوقت الفراغ فسوف يتم إفراد جزء رابع مستقل لمناقشة ذلك الموضوع مع توضيح أنواع اللهو المباح الذى يسمح الإسلام للإنسان بها والحدود التي يجب على الإنسان ألا يتعداها في ذلك الصدد. وحتى تكتمل الصورة المستهدفة وتصبح في أفضل وضع توضيحي لها، فسوف يضاف إلى ما سبق جزءان آخران، نعرض في إحداهما الوقت في حياة الأنبياء الذين يمثلون صفوة البشر والقدوة الحسنة النموذجية لكل البشر، ونقدم في الآخر بعض المقتطفات الهامة مما ورد في التراث الفكري الإسلامى القديم حول ذلك الموضوع على سبيل الاستنارة بذلك الخط الفكرى الراقى وإحياء لدوره الكامن فى طى الإهمال البشرى المتعمد أو العفوى. ولنبدأ جولتنا الفكرية الاستكشافية والاسترشادية مع ذلك المنظور الفكرى النموذجى.

١/٣: نسبية الوقت: الواقع أن الإحساس بمدى طول/ أو قصر الوقت وبمدى أهمية الإنجازات التي تتحقق في خلال فترة زمنية معينة. يمكن أن يختلف ليس فقط من شخص إلى آخر أو من مجتمع إلى آخر. بل إنه يمكن أن يختلف أيضاً من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان.

فما من شك فى أن منظور **الجاهل** إلى الوقت يختلف عن منظور **العالم** إليه، وفي أن الملتزم بأداء **أعمال تراكمية** كثيرة وشاقة يحتاج إلى كل لحظة من الوقت ودائماً ما يرى أن الوقت قصير وغير كاف لأداء

التزاماته، بينما يمكن **للعاطل** أو للمتكاسل أو للمهمل، أو للقائم بمهام بسيطة نسبياً أن يعتبر ذات الفترة الزمنية المتاحة له أنها طويلة جداً ويتمنى انقضائها بسرعة تغلباً على ما يمكن أن يعانيه من مشاعر الملل والإحساس بفراغ أجوف يعجز عن سده بأسلوب يرضيه. وعلى **المستوى المكاني** نجد مثلاً أن هناك بقاع في الأرض يطول نهارها وتسطع فيها الشمس بإشراقاتها وبدفئها المحبب لفترات طويلة مما يتيح للبشر وقتاً طويلاً (نسبياً) لقضاء الأنشطة والحاجات المعيشية والترفيهية أيضاً. وفي نفس الوقت توجد دول تعاني من المغيب الغالب للشمس عنها وبالتالي يكون ليلها أطول من نهارها مما يجعل الوقت لديها يبدو قصيراً مقارنة بالوضع المذكور سابقاً. أما على **المستوى الزماني**، فيلاحظ أن الوقت المعاصر يبدو أقصر بكثير مما كان عليه ذات الوقت الزمني في سنوات مضت. وذلك ما سوف يتم توضيحه بشكل أكثر تفصيلاً بالاستعانة بالأدلة الشرعية التي وردت في ذلك الصدد وبالاستنارة بما تضمنته من توجيهات نبوية ومسلمات.

أولا: كل وقت الدنيا لا مقياس يذكر له مقارنة بوقت الآخرة:

وذلك يمثل أحد المسلمات التي لا يستطيع أي إنسان رشيد أن يجادل في صحتها. والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ**﴾ (الحج:٤٧) . كما يتضح القصر المتناهي لكل وقت الحياة الدنيا مقارنة بوقت الآخرة من قوله

تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ (يونس: جزء من الآية ٤٥). وتتأكد ذات الصورة البديهية من خلال عدد كبير من الآيات التي يصعب حصرها في ذلك المقام، وكذلك من خلال الأحاديث النبوية الصحيحة مثل قول النبي ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يمشي أحدكم إلى اليم، فأدخل إصبعه فيه، فما خرج منه فهو الدنيا» (عن المستورد، للحاكم، صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٥٥٤٧)، كما تتجلى تلك الحقيقة التي لا تخفى على أي إنسان عاقل في صورة تمثيلية رائعة نجدها في الحديث الشريف عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «مالي وللدنيا، وما للدنيا ومالي! والذي نفسي بيده، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة من النهار. ثم راح وتركها» (أحمد بن حنبل، والحاكم، صحيح الجامع الصغير وزيادته. جـ٢، ٥٦٦٩- ١٨٣٤).

أما الأمر المبهج حقا، فهو أن من ينعم الله سبحانه وتعالى على خلقه بالجنة في الآخرة، ستلبى له كل رغباته أياً كانت في وقت بالغ القصر مقارنة بما يحدث في حياتنا الدنيا، فاشتهاء الإنجاب في الدنيا إن تحقق يستغرق في المتوسط تسعة أشهر بخلاف أعداد إضافية من الأعوام اللازمة للرضاعة وللتسنين.. بينما لا يستغرق كل هذا في الجنة سوى ساعة واحدة مصداقاً لقول الرسول ﷺ «المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة، كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة، كما يشتهي» (عن

ابن سعيد، أحمد بن حنبل، الترذى، ابن ماجه، صحيح ابن حيان في صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٦٦٤٩)

ثانيا: الارتباط بين الشعور بالوقت؛ والحالة المزاجية؛ وطبيعة الأحداث: فمن الملاحظ أن الوقت العصيب الذى تتخلله أحداث غير سارة أو الذى يقضيه الإنسان وهو فى حالة مزاجية سيئة، يبدو طويلاً جداً على المرء. وفي تلك الحالة، تتباطأ الثوانى والدقائق في انقضائها ومرورها، وتكاد الساعات تبدو ثابتة لا تتحرك من وجهة نظر الإنسان الذي يعيش في ظل تلك الأحداث أو تلك الحالة المزاجية المتعكرة. وبطبيعة الحال، فإن من أطول الأوقات العصيبة التى ستمر على الإنسان بدون شك هو يوم القيامة ووقت الحساب وإن كان الوقع السيئ لذلك الوقت العصيب والإحساس بطوله يختلف بين الكفار والمجرمين من ناحية، وبين المؤمنين من ناحية أخرى، حيث سيكون الإحساس بطول ذلك الوقت أخف وطأة على المؤمنين مقارنة بوضع غيرهم. وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ**﴾ (يونس: جزء من الآية٤٥). بينما يتضح لطف الله سبحانه وتعالى بعباده المؤمنين من خلال أحد مظاهر ذلك اللطف وهو تقصير مدة ذلك الوقت العسير عليهم. فعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر» (الحاكم، صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٨١٩٣-٣٢٦٧).

ثالثا: بركة الوقت: اعتاد الغالبية العظمى من الناس أن يستخدمون كلمة (بركة) كتعبير معنوى محفز بشكل سطحى، بدون التعمق الكافى لاستنباط ما ينطوى عليه ذلك المفهوم من دلالات ذات أهمية متميزة فى حياة الإنسان خاصة فيما يتعلق بالمتاح الفعلى له من وقت وبإنجازاته المختلفة التى يحققها فى خلال فترته. وعنصر البركة تفوق أهميته (الكثرة المطلقة) لأنه يعنى ـفي اللغة النماء والزيادة والسعادة أيضا. فإذا توافر للإنسان الكثرة المطلقة في رزق ما ولم تتوافر فيه سمات البركة ومنافعها يكون الاحتمال الأكبر عدم تمتع ذلك الإنسان بما حصل عليه وتملكه بالشكل الأمثل، بل إن الشئ المنزوع منه البركة يمكن أن يتحول إلى نقمة على صاحبه. فإذا ما تصورنا ـ على سبيل المثال ـ أن هناك شخصاً يتمتع ـ فى الظاهر ـ بامتلاك مال وفير وزوجة وأولاد ...الخ ولكن كان ماله هذا يكتسب من مصادر محرمة؛ فالاحتمال الأكبر أن يضيع الله عليه سعادته بكل ما حصل عليه من نعم ظاهرة وذلك بانتزاع البركة من ذلك المال والحال كأن يصاب أحد أولاده بمرض الإدمان فيقوم بسرقة أمواله ويهدد أمن كل أفراد الأسرة، أو أن يصاب المرء بأحد الأمراض المستعصية التى تعجزه عن الحركة أو عن حرية تناول الطعام المعتاد كما يشتهى ويرغب.

والواقع أن تأثيرات عنصر البركة يمكن أن تشمل أيضاً الوقت الذى يعيشه الإنسان، حيث يمكن التعرف على التأثيرات المختلفة لعنصر البركة التى ترتبط بالوقت الزمنى وقياسها من خلال تحديد

حجم ونوع الإنجازات التي يتم تحقيقها بالفعل في خلال وحدة أو فترة زمنية محددة.

وعلى عكس الشعور بالألم وبالتضرر وبالضيق من طول الوقت الذي يشهد أحداثاً غير سارة، فإن الإنسان يحتاج عادة إلى وقت طويل نسبياً ـ وبشكل مطلق أيضاً ـ لكي يتمكن من إنجاز أعماله وتحقيق طموحاته وآماله المتجددة والمستمرة. وما من شك في أن قصر الوقت يعتبر من معوقات سير الحياة بأسلوبها المعتاد أو المستهدف بالنسبة للمرء وللمجتمع أيضاً. وتزداد تلك المشكلة حدة كلما ارتفعت درجات الطموحات وتعددت الأهداف البشرية على مستوى الفرد والمجتمع. ومن هنا يمكن أن نتصور ما قد يحدث من مشاكل إذا سادت مشكة (قلة البركة في الوقت الزمني المتاح)، وما من شك في أن المشكلة تبلغ مداها المستعصي إذا ما عمت تلك البركة القليلة أو شبه المعدومة للوقت المتاح للعالم أجمع.

والواقع أن ما ذكرناه تواً ليس من نسج الخيال العفوي، وإنما دفعنا إلى ذكره والتنويه إلى خطورته كظاهرة يمكن أن تعم العالم أجمع ما جاء بالحديث الشريف: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان. فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضرمة[1] بالنار» [1] أي الجمرة. عن أنس؛ أحمد بن حنبل؛ الترمذي؛ صحيح الجامع الصغير وزيادته؛ جـ٢، ٧٤٢٢ـ ٢٦٠٢).

وعلى أية حال، فقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى إلى إحدى الوسائل الهامة للتغلب على ظاهرة قلة البركة التى تعانى منها البشرية جمعاء فى وقتنا الحالى، وهى أن يبدأ الإنسان في ممارسة عمله وأنشطته فى وقت مبكر وذلك كما جاء في الحديث الشريف: «بورك لأمتى في بكورها» (الطبرانى فى الأوسط، صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ١، ٢٨٤١).

وبالإضافة إلى تلك الوسيلة الإلهائية للوقت، فإن هناك مجموعة أخرى من التوجيهات التى يمكن استنباطها من خلال التعرف على الدور التنظيمى والتوجيهى الذى تقوم به العبادات لوقت الإنسان وهو ما سوف يتم تناوله بمزيد من التفصيل في جزء لاحق وشيك. ومع هذا، فهناك مجموعة من القواعد العامة التى تضمنها التوجيه الإسلامى لترشيد عملية قضاء الوقت واستغلاله بأفضل صورة ممكنة. وذلك ما يمكن التعرف عليه في الجزئين التاليين.

٢/٣: بعض القواعد العامة لترشيد استغلال الوقت ولتعظيم منفعته: استكمالاً لما تقدم، نود توجيه تساؤلٍ هاماً إلى العلماء الماديين وغيرهم من العامة الذين يمرون بالأحداث وبمحطات الحياة بتلقائية سطحية يعوزها التأمل والتدبر: ألم يلاحظوا بعد أن العالم قد أصبح تسوده الآن ـ وبالفعل ـ **ظاهرة تقارب الأوقات الزمنية**؛ وازدياد ذلك التقارب مع كل يوم يمر من عمر البشرية؟! الواقع أن الدلائل تشير إلى اليقظة البشرية المتزايدة التى أصبحت تعبر عن انتباهها لحدوث تلك